﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصافات: 171 - 173]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الانتقالُ من بيان موقف المكذِّبين، إلـى بيان سنَّة ربِّ العالمين في الغابرين

لمّا ذكرتِ الآياتُ السّابقة مقالةَ المشركين قبل البعثة، ومخالفتَها عند البعثة في التَّكذيب والافتراء والكفر، وتهديدَ الله سبحانه لهم بأنَّهم سوف يعلمون عاقبةَ كفرهم؛ ناسب أن يذكرَ بعد ذلك سنَّته ﷻ مع المرسَلين، وأنَّ النَّصر حليفُهم على الدَّوام؛ تسليةً لرسول الله ﷺ ممّا لاقى مِن كفر قومِه وعنادِهم، فهو انتقالٌ مِن ذكرِ موقف المكذِّبين، إلى بيان عاقبة مشابِهيهم مِنَ السّابقين، فإن لم ينتفعوا بما أُنزل مِنَ القرآن - كما لم ينتفع السّابقون بما أُنزل عليهم - فسيصيبهم ما أصاب السّابقين، فهُم أمام أحد خيارين: إمّا الإيمان، وإمّا العذاب.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَبَقَتۡ﴾: (سبق) أصلٌ يدلُّ على التَّقدُّم في السَّيْر، والاستباقُ: التَّسابُقُ، ثمَّ يُتجوَّزُ به في غيرِه مِنَ التَّقدُّم، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠﴾ [الواقعة: 10]، أي: المتقدِّمونَ إلى ثوابِ الله وجنَّته بالأعمالِ الصّالحة[1]، ومقصود ﴿سَبَقَتۡ﴾ في الآية: مَضَتْ في أُمِّ الكتاب[2].

2) ﴿كَلِمَتُنَا﴾: (كلم) أصلٌ يدلُّ على الجُرح والشَّقِّ، والكلام النُّطقُ المُفهِم[3]، والكلمةُ: الواحدة مِنَ الكَلِم والكَلام، كلَّمته تكليمًا

(1) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (سبق).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 130.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (كلم).

وكلامًا، وتكلَّمتُ تكلُّمًا[1]، أي: نَطَقت نُطْقًا مَفْهومًا[2]، اشتُقَّ الكلامُ مِنَ الكَلْم؛ لأنَّهُ يَشُقُّ الأسماعَ بِوصولِهِ إلَيها، وهو التَّأثير المُدرَكُ بإحدى الحاسَّتين، فالكلامُ: مُدرَكٌ بحاسَّة السَّمع، والكَلْمُ: بحاسَّة البَصَر[3]، والكلمة هي مواعيدُ ربِّكَ، فلا مُغيِّرَ لها، وكلماتُ اللّه: ترجعُ إلى العباراتِ أو إلى المتعلَّقاتِ مِنَ الوعدِ والوعيدِ وغيرِهما[4]، والمرادُ بقوله: ﴿كَلِمَتُنَا﴾ في الآية: قضاؤُه وحُكمُه الَّذي أوجبَه[5].

3) ﴿ٱلْمَنصُورُونَ﴾: (نصر) أصلٌ يدلُّ على إمدادٍ بزيادةٍ وقوَّةٍ[6]، ولازِمُهُ: دَفْعُ الضُّرِّ[7]، ومنه سُمّيَ المطرُ نصرًا[8]، والنَّصرُ على العَدوِّ: إعانَةُ الخصم عليه في حَرْبٍ أو غيرها بقوَّةِ النّاصر وغَلَبَتِه[9]، ونُصْرَةُ اللّه للعبد ظاهرة، ونُصْرَةُ العبدِ للّه هو نصرته لعباده، والقيامُ بحفظ حدوده، ورعايةُ عهوده، واعتناقُ أحكامه، واجتناب نواهيه[10]، فالنَّصر في الآية بمعنى المعونة حالًا أو مآلًا[11].

4) ﴿جُندَنَا﴾: (جند) أصلٌ يدلُّ على صلابَةِ الشَّيءِ وغِلَظِهِ، ومنه: الجَنَدُ، وهي الأرضُ الصُّلبةُ، والجُنْدُ العسكر، سُمّوا كذلك لِما فيهم مِنَ الغِلْظَةِ[12]، والجُنودُ جَمعُ جُنْدٍ؛ إذِ الجُندُ يُجمَعُ على جُنودٍ وأجنادٍ[13]، وجندُ اللّه في الآية: هم الغزاةُ؛ لتكونَ كلمة اللّه هي العليا، قال عليُّ بنُ أبي طالب: جندُ اللّه في السَّماء الملائكة، وفي الأرض الغزاةُ[14].

5) ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾: (غلب) أصلٌ يدلُّ على شِدَّةٍ مع عُلوٍّ ما وعِظَم جِرْم، ومنه حديقةٌ غلباءُ، أي: عظيمةٌ متكاثِفة مُلتَفَّة، قال تعالى: ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ [عبس: 30]، يُقال:

(1) ابن دريد الأزدي، جمهرة اللّغة: (كلم).
(2) الرّاغب، المفردات: (كلم).
(3) الرّاغب، المفردات، والسَّمين، عمدة الحفّاظ: (كلم)، والبيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/ 73، والمناويّ، التّوقيف، ص: 283.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 9/ 507، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/ 71.
(5) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 6/ 1083.
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (نصر).
(7) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/ 79.
(8) الزَّمخشريّ، أساس البلاغة: (نصر).
(9) الفيُّومِيّ، المصباح المنير: (نصر)، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/ 486.
(10) الراغب، المفردات: (نصر).
(11) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نصر).
(12) الرَّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (جند).
(13) ابن سيده، المحكم: (جند).
(14) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 490، والصّاوي، الحاشية على الجلالين: 03/ 290.

غلب الرَّجل غَلْبًا وغَلَبًا وغَلَبَةً ومغلَبًا ومغلَبَةً، أي: قهَره[1]، ومعنى ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ في الآية: يشمل عُلوَّهم على عدوِّهم في مقام الحِجاج وملاحمِ القتال في الدُّنيا، وعُلوَّهم عليهم في الآخرة[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

سنَّةُ الله قاضية بالنَّصر المتَين، عند تكامُل الشَّرط المبُين

تُبيِّن الآيات الكريمة أنَّ الله تعالى قضى، وحكَم في أمِّ الكتاب لعباده المرسَلين أنَّ لهم النُّصرةَ على أعدائهم بالحُجَّة والقوَّة، وأنَّ جندَه المجاهدين في سبيله لَهُمُ الغالبون لأعدائهم في كلِّ مقام، باعتبار العاقبة والمآل[3]، وهذه سنَّةٌ ماضيةٌ لا إيقافَ لها؛ إذا تتامَّت شروطُها، وتكاملت أركانُها، وتحقَّقت مضامينُها، بأن يكون العبادُ المرسَلون على طريق الحقِّ والنّور، فإنَّ جندَ الله تعالى يتنزَّل نصرُهم المبين.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ الواو ودلالتها:

تحتمل الواو في قَوْلِ الله تَعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أن تكونَ لعطف الآية على ما قبلها، ففي هذه الآية بيانٌ لبعض الوعيد الَّذي تضمَّنه قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، فهو بمنزلة بدل البعض من الكلِّ، ولكنَّه غلب عليه جانبُ التَّسلية، فعُطِف بالواو عَطفَ القصَّة على القصَّة[4]، ويمكن أن تكونَ الواو للاستئناف، فتكونَ الآية جملةً مستأنَفةً مقرِّرةً للوعيد[5] أن يحلَّ بالمشركين ما حلَّ بالسّابقين، فإنَّ نصر الله لعباده المرسَلين هو عذابٌ منه للكافرين.

تحتمل الواو عطفَ التَّبشير على التَّهديد، والاستئنافَ لتقرير الوعيد

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (غلب).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 195.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 657، نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 452.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 194.
(5) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 24/ 288.

دلالةُ التّوكيد بـ (لقد):

تأكيدُ وعدِ الله بالنّصر مِن مُلهِمات الثّبات والصّبر

استعمل النَّظمُ الكريم في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ حرفَ (اللّام) متَّصلًا بحرف (قد)، واللّام هي الدّاخلة على جواب القسَم، فهي دالَّةٌ على أنَّ في الكلام قسَمًا مُقدَّرًا، فقد مَهَّدَت له الجواب، ولذا تُسمّى ممهِّدةً ومُؤذِنَة[1]، وكثُر في الكلام اقترانُ جملة جواب القسم بـ (قد)؛ لأنَّ القسَمَ يهيِّئ نفسَ السّامع لتوقُّع خبرٍ مُهِمٍّ، فيُؤتى بـ(قد)؛ لأنَّها تدلُّ على تحقيق أمرٍ متوقَّعٍ، فاللّامُ أفادَتْ، بدخولها على (قد): المبالغةَ في التَّأكيد، والغرضُ مِن تأكيد هذا الخبر: هو العناية بمضمونه، والمبالغةُ في تأكيد وعد الله لعباده بالنَّصر والغلَبةِ على الكفّار[2]، لاسيَّما أنَّ الآيات مكيَّةٌ، وكان المؤمنون يعيشون حياةَ الاضطهاد والمعاناة، فتوكيد ذلك مِن مُلهِمات الثَّبات والصَّبر.

بلاغةُ استعمال مادَّة السَّبق:

نصرُ المرسلين وعدٌ من الله سابِق، وعقابه بالكافرين لاحِق

آثرَ النَّظم الكريم في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ استعمالَ فعلِ السَّبقِ؛ للدَّلالة على أنَّ كلمةَ الله بنصر عباده مُتقدِّمةٌ في الزَّمن، فهو أمرٌ قضاه اللهُ قبلَ خلقِ السَّماء والأرض، وكتبَهُ في أُمِّ الكتاب[3]، فاستعمالُ مادَّة السَّبق هنا يُرسِّخ في قلب المؤمن الثِّقةَ بوعد الله، وأنَّ النَّصرَ مع الصَّبر، ولن يكون إلّا ما أراد اللهُ تعالى.

دلالةُ استعمال لفظ الكلِمَة:

كلمةُ الله منجزةٌ فلا تتخلَّف ولا تتجزَّأ

المقصودُ بالكلمة في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: هو الوَعْدُ بعلوِّهم على عدوِّهم، في مقام الحِجاج، وملاحِم القتال في الدُّنيا، وعلوِّهم عليهم في الآخرة[4]، وجَعلِ العاقبة

(1) الشهاب، عناية القاضي: 2/ 173.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 208.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 130.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 195.

الطَّيّبة لهم، فقد عيَّن السّياقُ هذه الكلمةَ بقولهِ تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾، كما جاء الوعدُ تصريحًا في قول الله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: 21][1].

سرُّ إفرادِ الكلمة:

كلمةُ الله بنصر الرُّسل وأتباعِهم لا تتجزَّأ، ولن تتخلَّف

جاء التَّعبيرُ عن الوعدِ بالنَّصر في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بإفراد الكلمة، وهي في الحقيقة كلماتٌ عِدَّة، وجاء معناها في قول الله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: 21]، وسببُ إفراد الكلمات أنَّها لـمّا انتُظمت في معنًى واحد، وتضامَّت، وارتبطت غايةَ الارتباط؛ كانت في حُكمِ كلمةٍ مفرَدة، كما يُقال: كلمةُ الإخلاص، والتَّوحيد، والشَّهادتين.

فإفرادُ الكلمة هنا من باب الاستعارة، والمشهورُ أنَّ إطلاقَ الكلمة على الكلام مجازٌ مرسَلٌ، من إطلاق الجزء على الكلِّ، والغرضُ منها بيانُ أنَّها لا تتجزَّأُ، ولا تتخلَّفُ، وأنَّها منجزة بوعد الكريم سبحانه، وقال بعض العلماء: إطلاقُ الكلمة على الكلام حقيقةٌ لغويَّةٌ، وأمّا اختصاص الكلمة بالمفرد؛ فهو اصطلاحٌ لأهل العربيَّة، فعليه لا يُحتاج إلى تأويل[2].

فائدةُ إضافة الكلمة إلى ضمير العظمة:

وعدُ الله العظيمِ حقٌّ، وهو واقعٌ لا محالة

أُضيفت الكلمة في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ إلى الضمير (نا)، والإضافةُ تحتمل أن تكونَ بمعنى اللام، فتكون محمولةً على الاختصاص، أو بمعنى (مِن) محمولةً على الابتداء، أي: صدرت عن الله تعالى، فهي أمرُهُ وكونه، وضمير (نا) يدلُّ على التَّعظيم، وبيانِ علوِّ قدرهِ سبحانه، لتعدُّدِ صفاته الحميدة،

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 139.

(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 67، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 139، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 149.

ومواهبه الجزيلة، ومثل هذا التَّعبير يعبِّر به الملوكُ والعظماءُ عن نافذِ أمرهم ونهيهم، فالإضافة هنا إلى ضمير العظمة تُدخِل المهابةَ في قلوب عباده، وتُؤكِّد ما صدر مِنَ الله وعدًا وتهديدًا، فالعظيمُ جلَّ شأنُه وعَدَ بنصر عباده، وبغلبة أعدائه، ووعدُه حقٌّ آتٍ لا محالة[1].

سرُّ الجمعِ على (عِباد):

غـالـبُ جمع الـعـبـاد في القرآن للتَّكريم والتَّشريف

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبير بالجمع (عباد) في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا﴾، وهو جمع عَبْدٍ كالعبيد، غير أنَّ جمع (عَبد) على (عِباد) يُقصَد معه التَّكريم، والعبيد قد يُقصدُ منه خلاف التَّكريم، ولذلك قال هنا: ﴿لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، بخلاف جمعه على (عبيد)، كالَّذي في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: 46]؛ لأنَّه مكان تشفيقٍ وإعلام بقلَّة مقدرتهم، وأنَّه تعالى ليس بظلّام لهم مع ذلك[2].

نكتةُ الإضافة في (عبادنا):

تـشـريـفُ عباد الله المخلصين بإضافتهم إلى ربِّ العالمين

إضافةُ لفظ العباد إلى الضَّمير: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا﴾ بمعنى اللام، فهي دالَّةٌ على الاختصاص، لإفادة تشريفهم باختصاصهم عبادًا له سبحانه دون غيره، فهُم الذين أخلصوا لله العبادةَ في كلِّ حركةٍ وسكون، فصاروا أهلًا للإضافة إلى العظيم، المحيطِ بصفات الكمال، كقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: 63][3].

معنى تعريف ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

النَّصرُ متحقِّقٌ عند تحقُّق العبوديَّة في الاقتداء بالمهديّين

التَّعريف في لفظ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ للجنس الَّذي يفيد العمومَ والاستغراق، فجميع الرُّسل وأتباعهم المؤمنين موعودون بالنَّصر والغلبة على

(1) الشّهاب، عناية القاضي: 6/ 208.

(2) ابن عطية، المُحرّر الوجيز: 461/ 1، وأبو حيان، البحر المحيط: 231/ 3، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 294/ 3.

(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 313.

أعدائهم في الدُّنيا والآخرة، فالوعد قائمٌ، والنَّصر مكتوبٌ لمن تحقَّق فيه أنَّه عبدٌ لله تعالى، وأتى بشروط النَّصر من الالتزام بشرع الله ووحيه، والمضيِّ على سنَّة المرسلين في الصَّبر واليقين.

نكتة وصف العباد بـ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

شرطُ بلوغِ نصر الله للمؤمنين اقتفاءُ أثر المرسَلين

وُصِف العباد بأنَّهم مرسَلون في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ونكتة ذلك أنَّ الرُّسل هم الواسطة بين الرَّبِّ وعباده، فهُم الَّذين يتلقّون كلماته، ويبلِّغونها إلى النّاس، وهو كذلك وصفُ مدحٍ لهم، والمعنى: (الذين زدناهم على شرف الإخلاص في العبوديَّة شرفَ الرِّسالة)[1]، والوصف يقتضي التَّخصيص، لكن ليس المراد بالتَّخصيص أنَّ النَّصر للمرسلين دون غيرِهم، بل هو لهم ولغيرِهم مِنَ المؤمنين، بشرط أن يقتفي الأتباعُ نهجَ المُرسَلين.

علَّةُ فصل الجملة:

بيانُ الكلمة السّابقة بالنَّصر المبين

فُصِل قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ عمّا قبلَه - وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ - لوجود كمال الاتِّصال بينهما، وهو اتِّحاد الجملتين اتِّحادًا تامًّا وامتزاجًا معنويًّا، بحيث تُنزَّل الثّانيةُ من الأولى منزلةَ نفسِها[2]، فقد وقعت جُمْلَةُ: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ بيانًا وتفسيرًا للكلمة الَّتي سبقت مِنَ الله لعباده المرسلين في الآية الأولى، أي: الكلام المتضمِّن وعدَهم بأن ينصرهم اللهُ على الَّذين كذَّبوهم، وعادَوهم، وهذه بشارةٌ للنَّبيِّ ﷺ عَقِبَ تسليته؛ لأنَّه داخلٌ في عموم المرسلين[3].

غرضُ توكيد الخبر:

جاء الخبر في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ مؤكَّدًا

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 24/ 289.
(2) القزويني، الإيضاح: 3/ 108.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 195.

بتأكيدات عدَّة مِن حرف التَّوكيد (إنَّ)، واللّامِ المزحلقة، وضميرِ الفصل (هُمْ)، وتعريفِ الجزأين، فالخبر إنكاريٌّ، والغرض منه تثبيتُ المعنى في نفوس المؤمنين، فهُم وإن دخلوا في مسمّى الإيمان إلّا أنَّ الإيمان يتفاوت بين أفراد المؤمنين، والخبر متعلِّقٌ بخبرٍ غيبي مُستَقبَل - وهو النَّصر - فتقويته بالتَّأكيد للإلهاب والتَّهييجِ بتنزيلهم منزلةَ المُنكِر، وتحريكٍ للنُّفوس المؤمنة لبعث الحقِّ فيها.

إلـهـابُ نفوس المـؤمـنـين يُحرّكهم للثَّبات حـتّـى نـزول النَّصر

بلاغةُ القصر ونوعه:

القصر في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ آتٍ من تعريف جزأي الجملة، وضميرِ الفصل، والقصر قصر قَلب، للرَّدِّ على من ظنَّ أنَّهم المهزومون، وهو ما يوافق مقتضياتِ النُّزول وملابساتِه، أي: (إنَّ عبادنا المذكورين لهُم المنصورون خاصَّةً لا غيرُهم)، على أعدائهم في الدُّنيا والآخرة، فمَن نصرناه؛ فلا يُغلب، كما أنَّ مَن خذلناه؛ لا يُنصر[1].

من نصره الله؛ فلا يُغلب، ومن خذله الله؛ فلا يُنصر

معنى تعريف ﴿ٱلْمَنصُورُونَ﴾:

جاء لفظ ﴿ٱلْمَنصُورُونَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ معرَّفًا بـ (ال) الموصولةِ، بمعنى: (الذين ينصرهم الله ﷻ)، وضابط (ال) الموصولة أن تكون صلتُها صفةً صريحة، وهي هنا اسم المفعول (منصورون)، والنُّكتة في استعمال اسم المفعول دون الجملة الفعليَّة: إفادةُ الثُّبوت، فعبادُ الله منصورون على الدَّوام في كلِّ عصرٍ وآن، سواء في الحال أو في المآل، فأفاد التَّعريف العموم والاستغراق والشُّمول.

عـبـادُ الـلـه منصورون على الـدَّوام، في كلِّ عصرٍ وآن

دلالةُ استعمالِ مادَّة النَّصْر:

أوثِر في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ التَّعبيرُ بلفظ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 24/ 289.

﴿ٱلۡمَنصُورُونَ﴾، وهو اسمُ مفعولٍ من الفعل (نَصَرَ)، وتدور تصاريف هذه المادَّة على إتيان خيرٍ وإيتائِه، ومنه: نصْرُ الله تعالى للمسلمين، وهو إيتاؤهم الظَّفَرَ على عَدوِّهم[1]، والنُّصرَةُ: حسنُ المعونة[2]، فعبادُ الله المرسَلون منصورون في جهادهم على الكافرين، والله سبحانه هو النَّصير الموثوقُ بألّا يُسْلِمَ أولياءَه، ولا يخذُلَهم[3]، وفي استعمال هذه المادَّة اللغويَّة إيماءٌ إلى أنَّ النَّصر قد يكون متحقِّقًا في الدُّنيا أو الآخرة، فالنَّصر له دلالةٌ معنويَّة، وأخرى محسوسةٌ ماديَّة، فأيُّ النَّصرين تحقَّق؛ فقد نُصر المرسلون، وغلب المؤمنون.

النَّصرُ حسّيٌّ ومعنويٌّ، والعِبرة بالعاقبة والمآل لا بالمبدأ والحال

دلالة العطف بين الجمل الخبريَّة:

عُطِف قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ على قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ﴾؛ فبعد أن وعَد سبحانه بنصرة عباده المرسَلين عطفَ عليه بشارةَ المؤمنين بالظَّفَرِ على أعدائهم، فإنَّ المؤمنين جندُ الله وأنصارُه، نصروا دينَه، وتلقَّوا كلامَه[4]، وهما وعْدانِ من الله تعالى: الأوَّلُ فيه الغاية، والآخر فيه بيانُ الوسيلة، وهي الغلَبة في المآل بواسطة جند الله تعالى.

عطفُ بيانِ وسيلة النَّصر على ذِكر الغاية

بلاغةُ التَّعميم بعد التَّخصيص:

لمّا خصَّ اللهُ سبحانه المرسَلين بالنُّصرة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ عطف عليه قولَهُ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾؛ لنكتة العموم والشُّمول، فقوله: ﴿جُندَنَا﴾ يشمل المرسَلين وأتباعَهم، فهو تعميمٌ بعد التَّخصيص، فعُلم أنَّ المرادَ بعباد الله المرسلين: الأنبياءُ والمؤمنون؛ لأنَّ ذِكرَ الإمام والمَتبوعِ يستلزم ذكرَ

ذِكرُ الإمام المتبوع يستلزم ذِكرَ الأُمَّةِ التّابِعة

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نصر).
(2) الخليل بن أحمد، العينُ: (نصر).
(3) الحَلِيمي، المنهاج: 1/ 205.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 195.

الأُمَّةِ والتّابِع[1]، وفي عطفِ غلَبة الجند على نصرة المرسلين بيانٌ للعمل ضمن السُّنَن الَّتي أوجدها الله تعالى في سبيل تحقيق النَّصر والغلبة، وأنَّ الأمر يحتاج إلى عملٍ قائم على الإيمان، والتزامِ منهج الهدى واليقين.

غرضُ الجملة الخبريَّة:

تنزيلُ غيرِ المنكِر منزلةَ المنكِر إذا اقتضى السّياق التَّأكيد

جاء الخبرُ في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ مشتملًا على تأكيداتٍ من اسميَّةِ الجملة، وحرف التَّوكيد (إنّ)، واللّامِ المزحلقة، وضميرِ الفصل، وتعريفِ الجزأين، وذلك لتوكيد مضمون الخطابِ في وقت استبعاد تحقيق غلبة المؤمنين على الكافرين، فإنَّ السورة مكيَّةٌ، وكانت الغلبةُ للكافرين، فالخبر لتوكيد ما يُنكِره الكافرون، ولتطمين المؤمنين إلى مضمونه.

نوعُ القصر وبلاغته:

كسر توقُّع الباطل بوقعه في الانهزام النَّفسي

في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ قصرٌ بطريق تعريف جزأيِ الجملة، والقصر قصر قلب لِما يعتقده المشركون من أنَّ المؤمنين سيُهزَمون، والمعنى: (إنَّ جند الله هم الغالبون لا غيرُهم)، فمَن نصره الله العزيز؛ لا يُغلب، كما أنَّ مَن خذله؛ لا يُنصر[2].

دلالةُ التَّعبير بلفظ الجند:

الجندُ تُحيط بهم معاني الصَّلابة والاجتماع والقوَّة

آثرَ النَّظم الكريم استعمالَ مفردةِ الجند في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ دون رديفاتها، ومعناه في الأصل: الأنصار والأعوان، والمراد منه هنا: أنصارُ دين الله، وهم المؤمنون، وجندُ الله هم الغُزاة؛ لتكونَ كلمةُ الله هي العليا، وقال عليُّ بن أبي طالب: جند الله في السَّماء الملائكة، وفي الأرض الغزاة[3]، ونكتة

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 314، والقونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 346.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 24/ 289.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 490، والصّاوي، الحاشية على الجلالين: 03/ 290.

الاستعمال أنَّ هذه المفردةَ مقترِنةٌ في أصلها اللُّغويِّ بمعنى الصَّلابة والثبات، وأثَرُ ذلك في جند الله تعالى، مع مناسبة ذكر الجند مع الغلبة؛ لِما توحي به المفردتان من الصَّلابة والتَّماسك.

نكتةُ الإضافة في ﴿جُندَنَا﴾:

تعظيمُ جند الله وتشريفهم بإضافتهم إلى ربِّهم

أُضيف لفظُ الجند إلى ضميرِ العظمة في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾؛ لتعظيم شأن الجندِ، وتشريفِهم بإضافتهم إلى مولاهم ﷻ، وفي الإضافة دليلُ التَّأييد والمهابة والقوَّة.

معنى تعريفِ ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾:

عبادُ الله غالبونَ على الدَّوام، في كلِّ عصرٍ وآن

جاء لفظ ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ معرَّفًا بـ (ال) الموصولة، وهي بمعنى: (الذين يغلِبون أعداءَ الدّين)، وضابطُ (ال) الموصولة أن تكون صلتُها صفةً صريحة، وهي هنا اسم الفاعل (غالبون)، والنُّكتة في استعمال اسم الفاعل دون الجملة الفعليَّة إفادةُ الثُّبوت، فعباد الله غالبون على الدَّوام في كلِّ عصرٍ وآن، سواء في الحال أو في المآل.

بلاغةُ استعمال مادَّةِ الغَلَبَة:

الإيماء إلى الإعجاز الغيبي، في إرداف النَّصر بالغلبة القاهرة

أوثِر في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ استعمالُ لفظِ ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، وهو اسمُ فاعلٍ من الفعل (غَلَبَ)، وأصله يدلُّ على قوَّة وقهر وشدَّة، ومعناه هنا يشمل عُلوَّهم على عدوِّهم في مقام الحجاج، وملاحم القتال في الدُّنيا، وعُلوَّهم عليهم في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: 212]، فهو استعمالٌ للغلبة في حقيقتها ومجازها[1]، وأوثرت على مادَّة النَّصر، فلم يقل: (لهم المنصورون)، كما قيل في شأن المرسلين؛ لأنَّ النَّصر عامٌّ، بينما الغلبة متَّجهةٌ هنا إلى القوَّة الحسّيَّة والمادّيَّة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 195.

والقهر الغالب، بقرينة عطفِها على النَّصر، ففي هذا الاستعمال بيانٌ أنَّ المؤمنين ستكون لهم الغلبة الكبرى في قابلِ الأيام، وأنَّ بهذه الغلبة تكتمل نُصرةُ المرسَلين، فهذا الإخبارُ من باب الإعجاز الغيبيِّ، فقد تحقَّقت غلَبةُ المؤمنين، وامتدَّتِ الفتوحاتُ، وانتصرتِ الدَّعوةُ المحمَّديَّة.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»